﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق: 3]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تفصيلُ العَجَب وذكرُ الإنكارِ بعد إجمالِه

بعد أن بيَّنتِ الآيةُ السابقة عَجَبَ المشركين وإنكارَهم ما أَنْذَر به الرسولُ ﷺ من أمر البعث، وأنَّهم جعلوه شيئًا بالغًا القمَّةَ والذَّروةَ في الغرابة؛ ناسب أن يُذكَر في هذه الآية ما قالوه تفصيلًا وتوضيحًا لهذا العجب، وتسويغًا وإقناعًا بصحَّة موقِفِهم المُنْكِر والمُسْتَبْعِد لذلك الإنذار[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَجْعٌ﴾: (رجع) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى رَدٍّ وتَكْرارٍ، تَقولُ: رَجَعَ يَرْجِعُ رُجوعًا؛ إذا عادَ[2]، والرُّجوعُ والرَّجْعُ: العَود إلى ما كان منه البدء، ومنه: العود إلى الدُّنيا بعد الممات[3]، كما في هذه الآية.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ما يستبعده الجاهلُ المنكِرُ مستحيلٌ في الواقعِ من جهتِه

تبيِّن الآيةُ الكريمةُ استفهامَ الكفارِ الذين حاولوا تفسيرَ عجَبِهم وتوضيحَ أسبابِ إنكارِهم ما أَنْذَرَ به الرسولُ من أمر البعث قائلين: أحين نموت، ونصير ترابًا وعظامًا، نرجع إلى الحياة مرَّةً أخرى؟ ثم جزموا بأنَّهم لن يُبعثوا، ولن يعودوا إلى الحياة ثانيةً؛ لأنَّ الرُّجوعَ إلى الحياةِ مرَّةً أخرى كلامٌ بعيدٌ عن عقولهم وأفهامهم[4]، وما كان بعيدًا عن أفهام الجهلةِ، فهو مستحيلٌ في الواقعِ من جِهَتِهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الآية عمّا قبلها:

جاءت جملة ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ مفصولةً عمّا قبلها؛ لكمال الاتِّصال

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 124، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 404.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجع).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (رجع).
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 333.

الَّذي تنزَّل فيه الجملةُ الثانيةُ من الأولى منزلةَ التّابع من المتبوع؛ ذلك أنَّها بمنزلة البيان والتَّوضيح[1] لجملة: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ التي قالها الكفّارُ تعقيبًا مُجمَلًا على ما أنذر به الرسولُ، ومن ثمَّ زادوا الجملةَ الأولى بيانًا وتوضيحًا، فأتبعوها بجملة: ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾، وفصَلوها عنها كما يُفصَل التّابعُ عن المتبوع.

بيانُ المجمَلاتِ تعيينٌ للمقصودِ وتحديدٌ للمطلوبِ

بلاغةُ استعمالِ أسلوبِ الاستفهامِ:

جاء النَّظم الكريمُ بما يُترجِم حقائقَ ما جال في نفوسِ الكافرين، وما صدر عن مجمل أقوالهم، وهو استفهامُهم: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾، فهذا الاستفهام للتَّعجيب والإبطال، يريدون تعجيبَ السامعين من وقوعِ البعث، تعجيبَ إحالةٍ لئلّا يؤمنوا به[2]، فغَرَضُ استفهامهم في الحقيقة هو إنكارُ رجوعِهم للحياة واستبعاده بعد أن فارقت أرواحُهم الأجساد[3]، واستعمالُ الاستفهام؛ لأنَّه الأسلوبُ الأمثَل لإثارةِ أذهانِ المخاطَبين وتحريكِها للتَّفكير في الجواب عن السُّؤال المطروح، فيُفضي بهم التَّفكيرُ إلى إنكار أن يكون هناك بعثٌ وحسابٌ بعد الموت، باعتبارِه مقصودَ السّائلِ في توجيه أتباعه.

أسلوبُ المتبوعِ تحريكُ أذهانِ أتباعِه للوصولِ إلى مُرادِه

دلالة استعمالِ الظَّرف:

جاء استعمالُ الظَّرفِ (إذا) مضافةً إلى الفعل ﴿مِتْنَا﴾، في قول الله تعالى حكايةً عن قول الكافرين: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾؛ لبيانِ قطعيَّة الموت، وأنَّهم سيكونون ترابًا بعد ذلك؛ وللدَّلالة على أنَّهم جعلوا مناطَ التَّعجيب أوِ الإنكارِ الزَّمانَ الذي أفادته (إذا) وما أضيف إليه، أي: (زمن موتِنا وكونِنا ترابًا)[4]، والمعنى: (أحينَ

جَعَلَ المشركون زمانَ الموتِ مناطَ التَّعجيبِ والإنكارِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 405.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 280.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 380، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 405.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 280.

نموت، ونصيرُ ترابًا وعظامًا، نرجع إلى الحياة مرَّةً أخرى؟)[1]، فأساسُ إنكارهم الاعتقادُ أنَّ الموتَ إذا وقع، وتحقَّق، وأصبحوا ترابًا بعد ذلك، فإنَّ الرَّجع بعيدٌ، وهم بذلك يظنّون أنَّهم يَسرُدون الدَّليلَ المُقنِع، وهو تحقُّق الموت وتحوُّل الأبدان إلى ترابٍ.

دلالة التعبير بالماضي:

الإشارةُ إلى أنَّ البعثَ بعد تحقُّقِ الموتِ أدخلُ في الاستبعاد وأحقُّ بالإنكار

كان مقتضى الظّاهر أن يعبِّر الكافرون عن الموت الذي سيحصل لهم في المستقبل بالمُضارع، لكنَّهم عَدَلوا عنه إلى التعبير بالماضي، فقالوا ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾: للدَّلالة على أنَّ تعجُّبَهم من البعث - بعد تحقُّقِ الموت وحصولِه حصولًا أكيدًا لا شكَّ فيه، وبعد مغادرة الرّوح للجسد - أدخلُ في الاستبعاد وأحقُّ بالإنكار، وأنَّه أمرٌ يَفوق قدراتِ العقول، ولا يُمكِن لها استيعابُه أو الإيمانُ به بأيِّ حالٍ من الأحوال.

دلالة العطف بالواو:

يزعمون أنَّ تَحَوُّلَ الجَسَدِ إلى ترابٍ أدلُّ على استحالة البعث

جيء بجملة: ﴿وَكُنَّا تُرَابًا﴾ معطوفةً على قول الكافرين: ﴿أَإِذَا مِتْنَا﴾ بالواو؛ ليكون أمرُ البعث بعد الموت وتفتُّتِ الجسد وصيرورته ترابًا أقوى في الدَّلالة على استحالة البعث، وآكدَ في بُعْدِه، والتقدير: (أنرجع إلى الحياة في حين انعدام الحياة منّا بالموت، وحين تفتُّتِ الجسد وصيرورته ترابًا؟)؛ وذلك عندهم أقصى الاستبعاد[2].

دلالة التعبير بفعل الكينونة:

بيانُ وجهِ الاستحالةِ بَعدَ ادِّعائها

جاء التعبير بفعل الكينونة في جملة: ﴿وَكُنَّا تُرَابًا﴾؛ لوصف ما يحدُث بعد الموت من تَفَتُّتِ الكيان، وتَحَوُّلِه من لحم وعَظْم إلى تراب لا روحَ فيه، ولا أملَ مطلقًا في عودة الحياة إليه من وجهة نظرهم، فالمعنى: (لا فرق بيننا وبين تراب الأرض)[3]، أي: (أإذا كنّا شيئًا

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 380، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 333.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 280.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 405.

آخرَ غير الذي كنّا عليه من قبل؟)، وهذه الكينونة - في نظرهم - مرشِّحةٌ لمعنى الصَّيرورة إلى شيءٍ لا مردَّ عنه.

بلاغة استعمال مفردة ﴿تُرَابًا﴾:

إعادةُ الخلق من ترابٍ أهونُ على الله من ابتدائه

أنطق الله المشركين بأن ذكروا صيرورتهم إلى ترابٍ بعد موتِهم، حين قالوا: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾، وهذا وصفٌ لما كانوا عليه قبل الخَلق والحياة، فمن رجع إلى أصلِه قبل الحياة، فهو راجعٌ إلى أصله كذلك قبل الموت، ولا شكَّ أنَّ الذي أنشأهم من التُّراب قادرٌ على أن يُخرجهم مرَّة ثانيةً من التُّراب.

وجه حذف المستفهَم عنه:

توجيهُ الأنظارِ إلى استحالةِ الإحياءِ، لا إلى الإحياءِ نفسه

المُستَفهم عنه في الآية محذوفٌ دلَّ عليه ظرفُ: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾، والتقدير: (أنُرَدُّ إلى الحياة، وتُبعث فينا الرّوحُ في حين موتنا وصيرورتنا ترابًا؟) وذلك عندهم أقصى الاستبعاد[1]، ووجه حذفه الانشغالُ والاهتمام بذكر ما يفيد استحالةَ البعث، ويؤكِّد عدمَ حصوله؛ فلو قالوا: (أنرجع إلى الحياة؟) من غير التعبير بالظرف وما أُضيف إليه؛ لَما كان للاستفهامِ الأثرُ المرجوُّ في تحريك العقول، نحوَ استبعاد حصول البعثِ وإنكارِه.

علَّة فصل الجملة:

توكيدُ المعاني تقويةٌ للحقائقِ المتزعزعة في نفسِ المكذِّب

جاءت جملة: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ مفصولةً عمّا قبلها لكمال الاتِّصال، الذي تُنزل فيه الجملةُ الثانيةُ من الأولى منزلةَ المبيِّن من المبيَّن؛ والتَّوكيد لونٌ من ألوان البيانِ، فالجملة بمنزلة التأكيد المعنويِّ لجملة: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ "بطريق الحقيقة والذكر، بعد أن أفيد بطريق المجاز والحذف؛ لأنَّ شأنَ التأكيد أن يكون أجلى دلالةً"[2]، ومن ثمَّ فُصِلت عنها، كما يُفصَلُ التّابعُ عن المتبوع.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 280.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 280.

غرض استعمالِ اسمِ الإشارة:

تشخيصُ المعاني بصورةِ المحسوسات لتوكيدِ الإنكارِ

اسم الإشارة في قولهم: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ راجعٌ إلى مضمون الخبر بالبعث، وأوثر التعبير بما فيه دلالةٌ على البُعْد؛ للإشارة إلى عظيم استبعاد الكفّار حصولَ البعث بعد تحقُّق الموت وتحوُّل أجسادهم إلى تراب، والمعنى: (إنَّ بعثَنا وإعادةَ الأرواح إلى أجسادنا، وتمييزَ ترابنا من بقيَّة التراب، أمرٌ في غاية البُعد)[1]، والاستبعادُ ترجمةٌ لما يظنُّه الكفّارُ من استحالةِ الرَّجع بعد الموتِ، مع ما فيه من تشخيص المعاني بالإشارةِ التي حقُّها أن تُستعمل مع المحسوسات دون المعاني.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالرَّجعِ نكرةً:

نفيُ المقاصدِ أبلغ من نفي الوسائل

جاء تعبير المشركين عن خبر اسم الإشارة بالرَّجع نكرةً في الآية الكريمة: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾، الدالِّ على العَودِ إلى ما كانوا عليه في الدنيا[2]؛ لإفادة شدَّة عَجَبِهم واندهاشهم، وأوثِر التَّعبيرُ به دون الإحياءِ لردِّ المقصود بالمآلِ وهو الرَّجع، دون أداته، وهي الإحياء، فنفيُ المقاصدِ أبلغ من نفي الوسائل.

بلاغةُ الكنايةِ في الوصف بالبُعدِ:

الوصفُ بالبعيدِ كنايةٌ عن الاستحالةِ

جاء وصفُ الرَّجع بصفة البُعد على صيغة المبالغة في قول المكذِّبين: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾؛ للدَّلالة على شدَّة بُعدِه عن تصوُّرات عقولهم، ووجه بُعْدِه في نظرهم الباطل أنَّه لا يُمكِن تمييزُ ترابهم من بقيَّة التراب، ولا إعادةُ الحياة إلى الأموات[3]، ووصف الرَّجع بالبعيدِ كنايةٌ عن الاستحالةِ المفهومةِ من سياق الكلام، وليس هو

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 405.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 405.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 280، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 405.

وصفٌ للواقعِ الذي يعتقدونه، فهُم لا يعتقدون بُعدَ الرَّجعِ، بل يعتقدون استحالتَه، فالتَّعبيرُ بالبعيد؛ لبيانِ ما في البُعدِ من عدمِ الإمكانِ العقليِّ، وبه جرت العادة، فالبُعدُ هاهنا هو بُعدُ الاستحالةِ، لا المقابِلُ للقريب.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"